إسهامات نجيبة الرفاعي الإماراتية في الأدب العربي الحديث

محمد نسار-ب[1]
عند الله نجيب يم[2]

الملخص

تعد هذه الدراسة محاولة للإشارة إلى إسهامات القاصة والروائية الشهيرة نجيبة الرفاعي في الأدب العربي بالإمارات. وقدمت إسهامات بارزة في مجال الأدب العربي بإنتاجاتها القيمة في القصة القصيرة، وذاع صيتها في مجال العلم والأدب، خاصة في القصص حتى لقب "حاصدة الجوائز" في مسابقات القصة القصيرة على مستوى الدولة.

كانت المرأة الإماراتية مثل أخواتها مهضومة الحقوق ومسلوبة الإرادة ومغلوبة على أمرها ليس في الخليج وحده بل في العالم العربي بأجمعه. لا تستطيع أن تقرر مصيرتها وتنفذ ولو أمورا بسيطة من حياتها أو تغير الوضع القائم المهترئ الذي لا تسمح لها بالحركة إلا في محيطها الضيق. لكن منذ خمسينات الماضي، بعد الظفرة الاقتصادية، تغير الوضع الذي ما زال قائما منذ قرون، فالتفتت الدولة الإمارات العربية المتحدة مثل أخواتها في الخليج حكومة وشعبا إلى بناء المؤسسات الحديثة من شأنها أن تلعب دورا بارزا وحيويا في النهوض الاجتماعي والثقافي للبلد. فتأسست المدارس والمعاهد التعليمية وأنشئت النوادي والمنتديات الأدبية، وأقيمت المطابع والمكتبات، وصدرت الجرائد والمجلات، كما ظهرت مؤسسات مهتمة بشؤون المرأة وقضاياها. ساعدت كل هذه العوامل على تطوير وتسريع النهضة بشكل عام والنهضة الثقافية بشكل خاص.

---

١ باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كيلة يم. إي. يس ممباد.

٢ أستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كلية سلم السلام العربية، أريكود، كيرلا.

ولم تعد المرأة الإماراتية في عزلة عما كان يحدث في المشهد الاجتماعي والثقافي من تطور سريع، بل شاركت فيها وأصبحت جزءاً من تلك العملية الحيوية التي غيّرت مجرى التاريخ لدولة الإمارات. واكتسبت لها سمعة طيبة لا على مستوى المنطقة فحسب بل على مستوى الوطن العربي والعالم.

وكانت للقصة جذورها في أدبنا العربي القديم، ظهور أول قصة قصيرة عربية "في القطار" لمحمود تيمور كان في سنة ١٩١٧م. ولكن الإمارات المعزولة عن العالم بصحرائها الشاسعة لم تعرف الرواية والقصة كجنس أدبي له شروط فنّية جديدة إلا بعد ظهور النفط. ولم يطلع الأدب في بلاد الإمارات لما ظهر في سائر بلاد العرب مثل مصر ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين دولة قطر وغيرها، واحتكاكها بالعالم ثقافيا وتجاريا. ولهذا برز في قصص الإماراتي الفاعل الثقافي واصطبغ في كثير منه بالصبغة الإماراتية. برزت القصة مع ولادة الحركة الأدبية الحديثة في الإمارات كلون أدبي مؤثر، ذلك لأنها من أقدر الفنون الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسوم خلجات النفوس وحث القراء على المثل العليا وكريم الخلال. فأما اليوم فتحتل الكتابة النسوية مكانة استثنائية في المشهد الثقافي الإماراتي، فهي غنية بأقلامها مبادرة في موضوعاتها، غزيرة في انتاجها، متنوعة في إبداعاتها ما بين الشعر والقصة والرواية. لا يمكن ادّعاء هذه التطور بصفتي الدقة والكمال، ولكنها ضرورية كمدخل للاسترجاع والقراءة المتجددة. وقد أشار عبد الفتاح الصبري في كتابه القصة القصيرة النسوية الإماراتية أن في الإمارات أكثر من مائة قاصات أصدرن كتب القصص، ولكن عدد مؤلفاتهن قليل جدا إما يكون واحد أو اثنان فقط. هنا إطلالات على اسهامات نجية محمد الرفاعي حيث كانت قاصة وإعلامية وكاتبة إماراتية.

نجيبة الرفاعي

ولدت نجيبة الرفاعي في عجمان عام ١٩٦٧م، حصلت البكالوريوس في الكيمياء من جامعة الإمارات. وحصلت على شهادة اجتياز البرنامج التدريبي من المركز الكندي العالمي للاستشارات والتدريب ٢٠١٥م وحصلت أيضا على شهادة اجتياز ممارس عام

معتمد في البرمجة اللغوية العصبية ٢٠٠٣م. وعملت في مجال التربية والتعليم كمعلمة لمادة الأحياء، ثم تدرجت في الوظيفة إلى منصب مديرة مدرسة، وعملت في قسم الموارد البشرية في منطقة عجمان التعليمية من عام ٢٠٠٥م إلى عام ٢٠٠٧م، كما عملت في قسم التوجيه في مركز التنمية الاجتماعية بعجمان التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية من عام ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠١٠م.

لها خبرة في مجال التدريب أيضا، وهي مدربة معتمدة من أكاديمية الدولية للتدريب في بريطانيا، درّبت أكثر من ألف متدرب من المعلمات والطالبات والإداريات والموظفات، في مجال التربية والسلوك الإنساني والتنمية الذاتية. ومن الدورات التدريبية التي قامت بتقديمها مثل النجاح في الحياة، ذوقيات السلوك الاجتماعي، المعلم الفاعل، لغة الجسد، الإدارة الصفية، القائد العصري، التفكير الإبداعي، انطلق من جديد، ارسم حياتك، الثقة في النفس، إدارة الوقت، بناء القيم التربوية.

ليست أديبة فقط بل لها أيضا مشاركات فائقة في مجال التلفاز معدة ومقدمة برنامج "منارات" على تلفاز الشارقة ٢٠١٧م، معدة ومقدمة برنامج "حياتنا" على تلفاز الشارقة ٢٠١٦م، معدة ومقدمة برنامج "عطر المساء" على تلفاز الشارقة، لدورتين متتاليتين عام ٢٠١٥م و٢٠١٦م، معدة ومقدمة برنامج 'صناعة الأجيال' على إذاعة الشارقة من عام ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠٠٩م.

الجوائز والمناصب

وقد قدمت نجيبة الرفاعي إسهامات بارزة في الأدب العربي بالإمارات. استطاعت أن ترقى بالأدب الإماراتي القصصي إلى مكانة عالية، وتلقي إنتاجها قبولا لدى القارئ الإماراتي بكل مستوياته المعرفية، وكذالك لدى القارئ العربي. وحصلت على جوائز عديدة على قصصها حتى يمكن أن نطلق عليها لقب "حاصدة الجوائز" في مسابقات القصة القصيرة على مستوى الدولة. حيث نالت جوائز تقديرية على مدى ثلاث سنوات متتالية في مسابقة غانم غباش للقصة القصيرة في أعوام ٢٠٠٠م و٢٠٠١م و٢٠٠٢م، وجائزة المركز الأول لعامين متتاليين في مسابقة القصة القصيرة لجائزة

راشد بن حميد للثقافة والعلوم عامي ٢٠٠١م و٢٠٠٢م، وحصلت فيهما على المركز الأول متتالية، وجائزة المعلم المبدع من وزارة التربية والتعليم والشباب لعام ١٩٩٧م. وجائزة المعلم المتميز من جمعية أم المؤمنين النسائية لعام ٢٠٠٠م. وجائزة المركز الأول في مسابقة جمعية المعلمين – للقصة القصيرة لعام ٢٠٠٢م. وجائزة المركز الثالث في جائزة أندية الفتيات بالشارقة لإبداعات المرأة الإماراتية في الآداب والفنون لعام ٢٠٠٣م. وجائزة الشيخ خليفة بن زايد للمعلم لعام ٢٠٠٤م. وجائزة المرأة الإماراتية في الأدب والفنون لعام ٢٠٠٥م التي ينظمها المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في الشارقة، وجائزة المركز الثاني في مسابقة القصة القصيرة الدورة الثانية ٢٠١٠م التي تنظمها وزارة الثقافة وتنمية المعرفة. وجائزة مجلس الآباء والمعلمين في عجمان- فئة الشخصيات المتميزة للعام ٢٠١١م. إضافة إلى العديد من التكريمات وشهادات التقدير التي حصلت عليها من بعض المؤسسات المعينية بالثقافة والفكر والإبداع. منها تكريمها في اليوم العالمي للمرأة عام ٢٠٠٩م وذلك للمساهمة المتميزة، والالتزام تجاه خدمة المجتمع.

إنها كانت قد تحمّلت كثيرا من المناصب ومنها -عضو رابطة أديبات الإمارات التابعة للمكتب الثقافي في المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بالشارقة، وهي عضو مجلس أمناء جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، وعضو مجلس أمناء مبادرة تنمية مهارات التعلم، بدعم من الشيخة روضة بنت أحمد بن جمعة آل مكتوم، وعضو لجنة تحكيم المسابقات، في مبادرة تنمية مهارات التعلم، وعضو لجنة تحكيم مسابقة القصة القصيرة للناشئات الدورة السابعة ٢٠٠٧م التي تنظمها رابطة الأديبات. وعضو لجنة تحكيم جائزة الإبداع الأدبي في كل من الدورة السادسة ٢٠٠٩م والدورة السابعة ٢٠١١م التي تنظمها إدارة المراكز الأطفال والفتيان في الشارقة، عضو لجنة تحكيم مهرجان الشارقة للمسرح المدرسي في الدورة الرابعة ٢٠١٤م، وقد أدرجت إحدى قصصها في منهج اللغة العربية للصف السابع في وزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات، وترجمت بعض قصصها إلى اللغة الفرنسية، ضمن كتاب مختارات من

قصص المبدعات الإماراتيات إلى الفرنسية، الصادر من وزارة الثقافة وتنمية المعرفة. وهذه المكرمات الأكاديمية تدل على مكانتها في مجال الأدب العربي. وهي كاتبة وأديبة وإعلامية ومدربة معتمدة من الأكاديمية الدولية للتدريب.

مميزاتها في الأدب

قد قامت القاصة نجيبة الرفاعي بإسهامات جلية تستحق التقدير والعناية في مجال الأدب القصصي العربي، ولها دور لا يستهان به في تطوير القصة القصيرة في الإمارات. قد ألفت نجيبة الرفاعي قصصها بلغة فصيحة يفهمها الجميع وإنها استخدمت لغة بسيطة واضحة تمارس سردا أفقيا، لقد نجحت نجيبة الرفاعي في حجز مقعدها في صالون الإبداع القصصي ومنصة أجناس القول الأدبية في الإمارات، بعد أن نجحت في الخروج من أطر القصة التقليدية إلى عالم القصة الجديدة، من خلال تلك الجملة القصصية الواعية التي بثتها في جنبات ما تكتبه، جرأة عالية وروح شابة وثابة مدهشة في العناوين والخطوط والتعابير اللونية، والشخصيات وأسلوب الأداء سواء في بساطته، أو منطقيته، وهو ما أوصل قاصتنا إلى ترجمة بعض قصصها إلى الفرنسية من خلال الكتاب الذي أصدرته وزارة الثقافة وتنمية المجتمع بالتعاون مع رابطة الأديبات الإماراتيات في المجلس الأعلى للأسرة بعنوان 'مختارات من قصص المبدعات الإماراتيات بالفرنسية' من ترجمة الدكتور مولدي فروج وإبراهيم الدرغوثي ومراجعة الكاتبة التونسية المقيمة في الإمارات ريم العيساوي. ويتضمّن الكتاب نصوصا لكل من: نجيبة الرفاعي، وأسماء الزرعوني، وباسمة يونس، وسارة النواف، وشيخة مبارك الناخي، وفاطمة السويدي، وفاطمة محمد الهديدي.

تتميز القاصة برحابة إبداعية، ولغة شاعرية تجذبك إلى دواخل الشخصيات، لتكشف لنا عن عوالم ومساحات جديدة في النفس البشرية بكل تناقضاتها، الشعوري والحسي والإنساني، من خلال التشبيهات البلاغية والنزعة الوجدانية الشفيفة في تصوير الواقع. ومن ذلك نقرأ ما كتب على الغلاف الخارجي للمجموعة: "لا يعنيني أن يعرفوا اسمي، أو يحفروا قصتي في سجل تاريخهم، لا يعنيني أن يصنعوا لي تمثالاً أو

يصيغوا لي نشيداً، فأنا لست بمعجزة، ولا إنسانة معجونة بالخرافة، كل ما أردته أن أرسم بسمة الرضا على وجه أمي، ومع أنني لن أرى ابتسامتها، إلا أن وهج سعادتها سينير قلبي، وسأتذوق حلاوة حبها في عروقي. يوم أن ولدت، كان ذلك اليوم عرسا، أذابوني في أحضانهم، استنشقوني، زرعوني في أياديهم كتعويذة حظ يلثمونها صبحا ومساء..."[1] يبدو لنا من خلال ما سبق مدى تأثر نجيبة الرفاعي وتركيزها في جانب التشبيهات البلاغية التي تمتاز بدقة الاختيار للفظ حتى يكون ملائما للوصف وخلق الصورة الفنية بما لها من قوة التأثير، وإذا قرأنا قصتها "قصاصة من ورق" وكيف حاولت فيها تلمس بعض الصور المغرقة في الظلم الاجتماعي وإبراز بعض الأفكار "تيمات" من نماذج مقهورة. إلا أن الأهم من ذلك أن بناء القصة واللغة والحوار جميعها تكشف عن مقدرة في تركيب صورة فنية مزدوجة المعنى والدلالة، مع استثمار أمثل للتشبيهات، وربط ذلك بالواقع المعاسي بطريقة جاذبة. ألفت نحو خمس مجموعات قصصية وبعض الكتب في الرواية والقصة أيضا.

إسهامات نجيبة الرفاعي في الأدب العربي

نجيبة الرفاعي بدأت حياتها الكتابية منذ أن كانت على مقاعد الدراسة، صبية حالمة تحاول كتابة الخواطر الشعرية، ونظم أبيات في مدح الرسول محمد ﷺ، ولكن لم توفّق للنجاح فيها، ثم كتبت بعض القصص، كان أول قصص لنجيبة الرفاعي 'القافلة' عام ١٩٩٣م، ونشرتها في ذلك الوقت في مجلة محلية هي 'الإصلاح'، وتحكي عن معاناة أم في بلد تفترسه الحروب، وتنتظر قافلة المساعدات، وحين تصل القافلة يهجم عليها الجياع بصورة جنونية، فتعود الأم منكسرة، خاوية اليدين بلا طعام لابنتها الصغيرة، والقصة الثانية التي نشرتها الكاتبة كانت بعنوان 'القيد' عام ١٩٩٩م، وجمعت فيها ما بين الواقعي والمتخيل والتعبير الذاتي.

لقد بدأت نجيبة الرفاعي تلفت إليها الأنظار من خلال مجموعاتها القصصية

---

١ نجيبة الرفاعي، لن ننسى، دار النشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م ، ص ٦.

المتتالية، ونشرها لبعض قصصها من خلال مشاركتها في رابطة الأديبات التي توفر مناخا ثقافيا وأدبيا مشجعا على حوار التجارب، وكان من ثمار تلك الردود الإيجابية والاهتمام النقدي الذي حظيت به بعد نشر قصتها "آمال تموت ببطء"، وهي إحدى قصص مجموعتها "قصاصة من ورق". استمدت القاصة مادتها الحكائية من وحي الواقع. مجمل القصة يتحدث عن فتاة تدعى "عنود" التي ظلمها أبوها فأبعدها عن المدرسة، وهي ما زالت في طور الطفولة لتهتم بشقيقتها الصغيرة بعد رحيل الأم.

مؤلفاتها المتميزة

قد قام نجيبة الرفاعي بإسهامات جلية في القصة القصيرة كما لها إسهامات جلية في الرواية والتلفاز. أصدرت مجموعة قصصها الأولى سنة ١٩٩٥م باسم "قصاصة من الورقة" ثم أصدر بعده مجموعتها الثانية باسم "نبض في حياتي" عن واقعات الاجتماعية. مؤلفاتها كما يلي.

١. قصاصة من الورق، (مجموعة قصصية) صدرت عام ١٩٩٥.

٢. نبض في حياتي، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٠م.

٣. لن ننسى، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٤م.

٤. أنفاس الورد (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٥م.

٥. أول خطوة في الحلم، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٦م.

٦. حامد وحمدة في بيت الجدة، (قصة مصوه للأطفال) صدرت عام ٢٠٠٨م.

٧. أحب ذاتي، (كتيب موجه للفتيات) صدرت عام ٢٠١٠م.

٨. حين نعيش للآخرين، (مجموعة قصصية للأطفال) صدرت عام ٢٠١٢م.

٩. حكايات بنات، (كتاب تربوي) صدرت عام ٢٠١٤م.

١٠.غالية (رواية) صدرت عام ٢٠١٦م.

لغة قصصية ممتازة

تتميز مؤلفات نجيبة الرفاعي بأسلوبها الرائعة وتصويرها الدقة. وقد ألفت نجيبة الرفاعي قصصها بلغة فصيحة يفهمها الجميع وكذلك أن لغتها لغة بسيطة واضحة تمارس سردا أفقيا. تنبثق جمالياته من التجاور في ربط الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات ربطا تعشيقيا، كما يصنع البناؤون. ومن النموذج نفهم عن أسلوبها المتميزة: "من وسط شلالات الدّماء المتدفقة من رأسي يلوح وجهك يا أمّي، ينزل على قلبي كنهر رقراق يرطب روجي القاحلة، أمدّ يدي أحاول أن ألمس عينيك فأكتشف أنّ بيني وبينك مسافات شاسعة، فأنا الآن تحت أقدامهم، وجسدي قد سلخته هراواتهم، يحيطون بي، يهمشون عظامي الصغيرة بأعقاب بنادقهم، ولا يأبهون بطفولتي ولا بصراخي، كلّ ما يفكرون به هو الإبادة، إنه الخوف المعشش في قلوبهم الجبانة، يرتعبون من ظل حجر، ويذوبون من صوت الريح ويطلقوا النار على نمل الطريق وعلى ذرّات الهواء، يحملون بالأمان وهميات أن يأتيهم، وأياديهم مغموسة بدماء الأبرياء، ودنياهم يعوي في سمائها صراخ الأمهات، يدعو عليهم بالفناء."[١]

> "لم أعد أقو على تحمل نظرات ابني وهي تلاحقني أينما سرت، تستشعر أنفاسي، تقرأ كل تعبيرات وجهي، تحاول أن تعثر على ملامح الحزن التي أدسها بين عروقي، لكنني لن أتهاوى، ولن أسمح للضعف أن يتسلل إلى ملامحي، سأبقى صامدة مبتسمة مبتهجة، ولن أعطي للآخرين فرصة كي يتفرجوا على ألمي، ليشبعوا بذلك فضولهم المجون. لا تعنيني ظنونهم ولا تؤثر في صمودي همساتهم المسمومة، لكن الذي يضعفني حقا وينخر في جدار صبري هو عبد الرحمن، ابني الذي التصقت روحه بدمائي دونا عن إخوته، فغدا يقرأ أفكاري قبل أن تترجمها شفتاي."

"بين متاهات عينيها تضيع الحقائق، وفي تشابكات شعرها المنكوش ترتسم عوالم الفوضى، خطوتها تحكي لنا تاريخا اختزله الناس في كلمة واحدة عنها، وهم

---

١ نجيبة الرفاعي، لن ننسى، دار النشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٨٧

يشيرون إليها بأصابعهم، وشفاههم لا تعرف سوى كلمة.. مجنونة... قديما.. حين كنت ألعب في الأزقة وسط المياه الراكدة، ثم أذهب إلى أمي وبقايا الطين عالقة في أطراف بنطالي، لم تكن أمي تفعل شيئا سوى أن تأخذني لأم سليمان كي ترنبني، حينها لم أكن لأجسر على مواجهة نظرات أم سليمان ولا تحمل عتابها، فقد كان حبها يأسر قلبي ويمنعني من إغضابها." [1]

خاتمة

اشتهرت الكاتبة نجيبة الرفاعي في العالم العربي بإسهاماتها للأدب العربي وخدماتها للغة العربية في عدة مجالات، وهي تتميز بأسلوبها الشيق وسردها المثير الذي تجده بانتباه القراء بالكتابة في عالم ما وراء الطبيعة والقصص الخاصة في قضايا الاجتماعية والسياسية.

المصادروالمراجع

١- عبد الفتاح صبري: تحوّلات المكان في القصة النسائية لإماراتية المكان والجسد تجلّيات الذات، ط-١: دار الياسمين للنشر والتوزيع: نشر في دولة الإماراتية ٢٠٠٨.

٢- حنا فاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي-أدب الحديث، ط٢٣، دار الجيل-بيروت، ٢٠٠٠م.

٣- د. الرشيد أبو شعير: مدخل إلى القصة القصيرة الإماراتية، ط١١: دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤- نجيبة الرفاعي: لن ننسى، ط- ١، دار النشر –بيروت، ط١، ٢٠٠٤م:

٥- د. حوريف زيدان: مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث، ط٤، دار النشر – بيروت، ١٩٩٩م.

[1] الرفاعي، نجيبة، أول خطوة في الحلم، ط ١ نسخة إلكترونيا، غير معروف، ص ٢

٦- نجيبة الرفاعي: أول خطوة في الحلم، ط- ١، نسخة إلكتروني، ط ٢٠٠٤م:

٧- د. محمد حنيفة: المشاعر الأدب الأدبية، ط١، مكتبة الهدى، ٢٠١٨م

٨- عباس، مجلة الصباح للبحوث، كلية فاروق كيرالا، المجلد ١، ٢٠١٦م

٩- www.alittihad.ae, on 20/10/2019

١٠- www.albayan.ae.five sevlve novel